المحاضرة الثالثة: مراحل إعداد البحث العلمي–مرحلة اختيار الموضوع–

المطلب الأول: مرحلة اختيار الموضوع

تعتبر مرحلة اختيار موضوع البحث من أدق وأصعب مراحل إعداد وتحضير موضوع الدّراسات،

فاختيار الموضوع نعني به القضية أو المشكلة العقلية أو العملية المطروحة للبحث والمراد التّعرف على حقيقتها وفهم معانيها والقوانين أو القانون الذي يتحكم فيها، وهذه المرحلة تسمى أيضا بمرحلة إعداد أو تقديم مشروع البحث.

تتطلب مرحلة اختيار موضوع البحث دراسة الشروط الواجب توفرها في اختيار موضوع البحث إلى جانب العوامل التي تتحكم في عملية الاختيار.

الفرع الأول: الشروط الواجب توفرها في عملية اختيار موضوع البحث العلمي

أول خطوة تواجه الباحث هي تحديد موضوع البحث، وهي خطوة سابقة لتحديد إشكالية البحث والمقصود بموضوع البحث المجال المعرفي الذي يختاره الباحث لانتقاء إشكالية خاصة به والتي على ضوئها يشرع في دراسة موضوعه.

لذلك تتطلب مرحلة اختيار موضوع البحث توافر شروط أساسية يمكن إجمالها كالآتي:

– أن يكون الباحث على علم تام بموضوع البحث وطبيعة المشكلة التي يريد التّقصي حولها وتفسيرها وتقديم الحل العلمي لها وأن يكون على دراية بالقيمة العلمية لموضوع البحث.

– يترتب على الشرط الأول أن يكون الباحث على دراية تامة بالطرق والإجراءات التي يعتمدها وكذا اختيار المنهج العلمي الذي يتبعه في كل أعمال التّحري والتّقصي عن حقيقة المشكلة.

– أن يكون متمكنا من قواعد البحث والاستنباط العقلي ومن كل أدوات البحث المتعلقة بموضوع بحثه.

– أن يقدم الأدلة الكافية التي يستدل بها للبرهنة على فائدة وملائمة البحث العلمي.

على ضوء هذه الشروط الأساسية يستحسن عند اختيار موضوع البحث تفادي الأمور التالية:

– المواضيع التي تمّ بحثها بحيث لا يكون في مقدور الباحث أن يأتي بجديد فيها.

- المواضيع التي يشتد حولها الخلاف حيث أنّها في حاجة إلى فحص وتمحيص، ومن الصّعب على الباحث أن يكون موضوعيا في الوقت الذي تكون فيه الحقائق مختلفا فيها، وليس الأمر هو عرض أراء المخالفين والمؤيدين فقط.
- المواضيع التي يصعب على الباحث العثور على مادتها العلمية في مراكز المعلومات المحلية بصورة كافية، وليس من الحكمة أن يستمر الباحث في بحث تندر مصادره.
- المواضيع الواسعة جدا، بحيث أنّ الباحث سيعاني كثيرا من الصّعوبات والمتاعب وعليه من البداية أن يحاول حصر موضوعه وتحديده بدلا من طرحه.
- المواضيع الضّيقة جدا، لأنّها لا تتحمل لضيقها تأليف رسالة علمية في حدودها المطلوبة.

الفرع الثاني: عوامل اختيار موضوع البحث العلمي

ليس كل بحث بالضرورة بحثا علميا فعملية البحث العلمي تستلزم مجموعة من المعايير الضرورية التي تساعد الباحث في اختيار موضع بحثه، تتعلق بعضها بالباحث نفسه من حيث قدرته ورغبته في القيام بهذا العمل، وتعرف بالعوامل الذّاتية ويتعلق بعضها بعوامل اجتماعية خارجية وتعرف بالعوامل الموضوعية.

أولا: العوامل الذاتية

ليس كل شخص مؤهل بان يكون باحثا علميا، فعملية البحث العلمي تتطلب بان تتوفر في الباحث مواصفات وشروط معينة تمكنه من إنجاز بحثه بالمعنى الصحيح، ليس مجرد خطوات إجرائية، بل هو الباحث أولا فإن لم يكن الباحث متوفرا على عقلية علمية متفتحة وإن لم يكن مهيأ نفسيا واجتماعيا لتقبل الحقيقة فلن يصبح باحثا علميا، ومن أهم العوامل الذاتية ما يلي:

أ- الرّغبة النّفسية الذّاتية في اختيار موضوع البحث العلمي:

تعد الرّغبة النّفسية الذاتية معيارا ومقياسا معتبرا وأساسيا في اختيار موضوع البحث العلمي، لأنه يحقق عملية الاندماج والارتباط النفسي والعاطفي بين البحث العلمي وموضوع البحث الأمر الذي يؤدي إلى توفير وتحقيق العديد من العوامل والقدرات النّفسية التي تخدم عملية إعداد البحث العلمي بصورة قوية وجدّية.

ب- الاستعدادات والقدرات الذاتية:

يجب أن تكون لدى الباحث العلمي استعدادات وقدرات ذاتية تمكنه من إعداد البحث العلمي إعدادا ممتازا وفقا لقواعد وإجراءات وقوانين وشروط المنهجية العلمية المطلوب احترامها وتطبيقها في مجال البحث العلمي.

ج- الذّكاء العقلي والتحلي بالأخلاق:

يجب أن يكون الباحث على قدر من الاستطاعة على التّعمق في الفهم والتّحليل والمناقشة والاستيعاب والربط والمقارنة في تناول ومعالجة الموضوع محل البحث العلمي، بحيث يكتسب الباحث الإمكانيات العقلية من خلال قراءة مجموعة من المواضيع المرتبطة ببحثه، وبالتالي يكتسب القدرة على التّفكير والنظر في مختلف المراجع والمصادر والوثائق المتعلقة بموضوع البحث.

أمّا التّحلي بالأخلاق فتوفرها في الباحث مسألة ضرورية، منها الصبر والتّحمل وعدم الانفعال السّلبي وقوة الملاحظة والموضوعية والقدرة على التّضحية وغيرها من الصّفات الحسنة التي تحقق عناصر الملائمة بين قدرات الباحث وطبيعة الموضوع المختار للبحث، كما يجب على الباحث أن يتسّم بالثبات في المواقف والتّجرد من العاطفة حتى لا يكون أسير عواطفه الشّخصية في التّحكم في بحثه وتوجيهه، لكون البحث يقتضي النقد وإعلان النّتائج وهذه أمور تفرضها الأمانة العلمية.

د- توفر الباحث على إمكانيات مادية واقتصادية:

لقد أصبح البحث العلمي عملية جد مكلفة، فالبحث قد يتطلب مصاريف مرتفعة بالنّسبة للأبحاث العلمية ذات المستوى العالي، كالرّسائل والأطروحات، إذ يتطلب إنجاز وإعداد بعض الأبحاث التنقل داخل البلد وخارجه، كما أنّ عملية اقتناء المراجع والمصادر والوثائق أو نسخها تتطلب تكاليف مادية مهمة، وعليه فإنّ البعض ذهب إلى القول على أنّ معيار القدرة الاقتصادية في اختيار الموضوع ومراعاة هذا المعيار يدخل في حسابات الباحث، في حين يرى البعض الآخر على أنّ هذا المعيار لا يمكن أخذه على إطلاقه والتّسليم به.

هـ- التّخصص:

يتحكم عامل نوعية تخصص الباحث في أحد فروع العلوم والشعب المتخصصة في عملية اختيار نوعية وطبيعة موضوع البحث العلمي، فهكذا نجد الباحث العلمي

في نطاق العلوم القانونية والإدارية يختار موضوع بحثه في نطاق تخصص العلوم القانونية والإدارية كتخصص عام، ثم نجده يختار موضوع بحثه في نطاق شعبة أو فرع تخصصه الخاص الضيق.

و- التّخصص المهني:

يختار الأستاذ الجامعي الباحث موضوعاته من ضمن المواد المقررة على مستوى اللّيسانس وعلى مستوى الدّراسات العليا والدكتوراه ليقوم بعملية البحث العلمي للتكوين، فعامل التّخصص العلمي والمهني يلعب دورا كبيرا كمعيار في اختيار موضوع البحث العلمي فعلى الباحث نفسه والأستاذ المشرف وهيئات التّكوين والبحث العلمي أن تراعي هذا الاعتبار بكل عناية وجدية.

ثانيا: العوامل الموضوعية

تتعلق هذه المعايير بمدى أهمية الموضوع الذي اختاره الباحث وفائدته العملية، وانعكاس هذه الفائدة على المجتمع وتقدمه أو على تقدم العلم وتحقيق انجازات علمية، وتشكل هذه المعايير بالإضافة إلى العوامل الذاتية السابقة أساسا سليما لاختيار موضوع البحث ومنها ما يلي:

أ- القيمة العلمية لموضوع البحث العلمي:

يتم الاختيار في مجال عمليات البحث العلمي الموضوعات ذات القيمة العلمية النّظرية والتّطبيقية وذلك وفقا لمقاييس ومعايير موضوعية تنبثق من مجموع الفوائد التي تحققها نتائج بحث الموضوع والتحكم فيها.

ب- أسس وأهداف ومحاور سياسة البحث العلمي المعتمدة:

يعتبر أيضا من العوامل والمعايير الموضوعية التي تتحكم وتؤسس عملية اختيار موضوع البحث العلمي سياسة البحث العلمي العامة والرسمية بكل أسسها وأهدافها ومحاورها.

فمثلا الجزائر تتبنى في مواثيقها وبرامجها مبدأ ارتباط وتكامل عمليات التكوين والبحث العلمي ومتطلبات الحياة العلمية.

ج- مكانة البحث بين أنواع البحوث العلمية الأخرى:

فنوعية البحث المراد إعداده وإنجازه بين أنواع البحوث العلمية والدّراسات الأخرى تتحكم في تحديد الموضوع الصالح للبحث العلمي المقرر إعداده.

د- توفر الوثائق العلمية المتعلقة بموضوع البحث:

هذا العامل يعتبر المعيار الأساسي في تحديد واختيار موضوع البحث العلمي لأنّه بدون توفر الوثائق والمراجع لا يمكن للباحث أن يكون ما يعرف منهجيا بنظام التحليل أي مجموعة المعارف والمعلومات والأفكار والحقائق التي تمكنه من دراسة وتحليل وتركيب الموضوع محل الدّراسة والبحث العلمي دراسة وبحثا علميا عميقا وكاملا وموضوعيا.

هـ- مدى مساهمة البحث في تقدم المعرفة:

إن هدف البحث العلمي هو الوصول إلى المعلومات والحقائق التي لم يتم التوصل إليها في المجال الذي يعمل فيه الباحث ولذا فإن الباحث معني بأن يضيف شيئا إلى المعرفة الإنسانية.

و- مدى مساهمة البحث في تنمية بحوث أخرى:

إن أي بحث لن يعطي نتائج هامة وحاسمة تشمل جميع الجوانب والمواقف المرتبطة بموضوع معين، فالبحث الجيد هو الذي يوجه الاهتمام إلى موضوع ما ويعالج الجوانب الخاصة به.